

18

قل اللهم مالك الملك

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



قل اللهم مالك الملك

قال (تعالى) : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[سورة آل عمران : ٢٦، ٢٧]

بَعْدَ أَنْ أَشَارَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ حَتَى لا يَصِلَ الْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، قَسَّمَ الرسولُ ﷺ الْعَمَلَ

عَلَى أَصْحَابِهِ حَتَّى يَعْمَلَ كُلُّ فَرِيقٍ بِهِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ .

وَخَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْخَنْدَقِ يَوْمَ الأَحْزَابِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ عَشَرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا يَقُومُونَ بِحَفْرِهَا ، عَلَى أَلاَّ يَحِيدُوا عَنِ الْخَطِّ الَّذِى خَطَّهُ ﷺ بِيَدَيْهِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ سَلْمَانُ الْفَارِسِىُّ يَحْفُرُ مَعَ أَصْحَابِهِ التِّسْعَةَ فِى الْجُزْءِ الْمُخَصَّصِ لَهُمْ إِذْ ظَهَرَتْ صَخْرَةٌ ضَخْمَةٌ ، حَاوَلَ الصَّحَابَةُ أَنْ يَكْسِرُوهَا بِكُلِّ وَسِيلَةٍ فَلَمْ تَنْكَسِرْ ، بَلْ كَسَرَتْ مَعَاوِلَهُمْ وَأَجْهَدَتْهُمْ لِلْغَايَةِ .

وبعْدَ جُهْدٍ ومَشقَّةٍ قالَ الصحابَةُ لِسلْمانَ :

ـ يا سَلْمانُ ، اصْعَدْ إِلى رسُولِ اللَّه ﷺ ، فأخْبِرْهُ خَبَر هذه الصَّخْرَةِ ، فإِمَّا أَنْ نَعْدِلَ عَنْها ونتجاوزَها ، وإِمَّا أَنْ يأْمُرَنا فيها بأَمْرِهِ ، فإِنَّا لا نُحِبُّ أَنْ نُجاوِزَ خطَّ رسُولِ اللَّه ﷺ الذى خَطَّهُ لنا .

فصَعِدَ سَلْمَانُ إِلَى رسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو جالِسٌ يَسْتَرِيحُ فقَالَ لهُ :

ـ يا رسُولَ اللَّهِ ، خَرَجَتْ صَخْرَةٌ بيْضَاءُ مِنْ بَطْنِ الْخَنْدَقِ ، فكَسَرتْ حَدِيدَنا وشَقَّتْ علينا ، وقد أعيَتْنا الْحِيَلُ ،

فما نَدْرِى ما نصْنَعُ بها ، فَمُرْنا فيها بأمْرِكَ ، فإنَّا لا نُحِبُّ أَنْ نجاوِز خطَّك يا رسُول اللَّه .

فهَبَط رسُولُ اللَّه ﷺ مع سَلْمَان الْخَنْدَقَ ، فأخَذَ المِعْوَلَ مِن سَلْمانَ فضَربَ الصَّخْرَةَ ضَرْبَةً قوِيَّةً حتى صَدَعها ، وبَرَقَ مِنْها بَرْقٌ أَضَاءَ الْمَدِينَةَ ، وكأَنَّ مِصْباحًا قد أُضِىء فى جَوْف بَيْتٍ مُظْلِمٍ .

وكبَّرَ الرسُولُ ﷺ تكبِيرَ النَّصْرِ فكبَّرَ الْمُسْلمونَ خَلْفَ الرَّسُول ﷺ .

ثم ضَربَ الرَّسُولُ ﷺ الصَّخْرَةَ ضَرْبَةً ثانِيةً فصَدَعَها وبَرَقَ مِنْها برْقٌ شَديدٌ كأَنَّهُ

ضوءُ مِصْباحٍ في جَوْفِ الظَّلامِ ، فكبَّر الرسُولُ ﷺ تكبِيرَ فَتحٍ وكَبَّر خلْفَهُ الْمُسْلمونَ .

وحَملَ الرسُولُ الْمِعْوَلَ وضَربَ الصَّخْرَةَ ضرْبَةً ثالثَةً فكسرها وبَرق مِنْها برْقٌ شديدٌ كأَنَّهُ مِصْباحٌ في جَوْف بَيْتٍ مُظْلمٍ ، وكَبَّر رسُولُ اللَّه ﷺ وكَبَّر الصَّحابةُ خلْفَهُ .

وبعْد أَنْ كَسَر الرَّسُولُ ﷺ الصَّخْرَةَ وأَزاحَها من طَرِيقِ أَصْحابه ، أَخَذَ بيَدِ سَلْمَانَ وصَعدَ إلى أَعْلى الْخَنْدَق ، لِكَيْ يقُوْمَ بعَمَله الْخَاصِّ .

ولَمْ يسْتَطِع سَلْمانُ أَنْ يَكْتُمَ دهشَتَهُ

فقالَ :

ـ بأَبِى أنْتَ وأُمِّى يا رسُولَ اللَّهِ ، لقَدْ رأَيْتُ شَيْئًا ما رأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ .

فالْتَفتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أصْحابِهِ فقالَ :

ـ رأَيْتُمْ ما يَقُولُ سَلْمَانُ ؟

فقالُوا :

ـ نَعَمْ يا رسولَ اللَّهِ !

فقالَ ﷺ :

ـ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِى الأُولَى ، فبَرقَ الذى رأَيْتُمْ ، أضاءت لى منها قُصُورُ الْحِيرَةِ وَمَدائِنُ كِسْرَى ، كأَنها أنْيابُ الْكِلابِ ،

وأَخْبَرَنى جِبْرِيلُ عليه السلام ، أنَّ أُمَّتِى ظاهِرَةٌ عليْها .

وأَضافَ الرَّسولُ ﷺ قائِلاً :

- ثمَّ ضَرَبْتُ ضربَتِى الثَّانيَةَ فبَرقَ الذى رأَيْتُمْ ،أَضاءت لى منها الْقُصُورُ الْحُمْرُ مِن أَرْضِ الرُّومِ ، كأَنَّها أنيابُ الْكلابِ ، وأَخْبَرَنى جِبْرِيلُ عليه السلام ، أنَّ أُمَّتى ظاهِرَةٌ علَيْها .

واخْتَتَمَ الرسولُ ﷺ حديثَهُ قائِلاً :

- ثم ضَرَبْتُ ضربَتى الثَّالثَةَ ، فبَرقَ الذى رأَيْتُمْ ، أَضاءَتْ لى منْها قصورُ صَنْعَاءَ كأَنَّها أنْيابُ الْكلابِ ، وأَخْبَرَنى جِبْريلُ عليه السلام ،

أَنَّ أُمَّتِى ظاهِرَةٌ عليْها ، فأبْشِروا .

فاسْتبْشَرَ الْمُسلمونَ خيْراً بِكلامِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ وقالُوا فى سَعَادَةٍ :

الْحَمْدُ لِلَّه ، موْعِدُ صِدْقٍ ، وعَدَنا النَّصْرَ بَعْدَ الْحَفْرِ .

وعَلِمَ الْيهودُ والْمنافِقونَ بذلكَ فراحُوا يَسْخَرُونَ مِنَ الْمُسْلمِينَ فقالَ الْمنافِقونَ :

ـ أَلاَ تَعْجَبُونَ من مُحمدٍ ؟ إِنَّهُ يُمَنِّى أَصْحابَهُ ويَعِدُهُمُ الْباطِلَ ، ويُخْبِرُهُمْ أَنَّه يُبْصِرُ مِن يَثْرِبَ قُصُورَ الْحِيرَةِ ومَدَائِنَ كِسْرَى ، وأَنها تُفْتَحُ لهُمْ ، وهمْ إِنما



يَحْفُرُونَ الْخَنْدَقَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ ، ولا يَقْدِرُونَ على أَنْ يُواجِهُوا الْعَرَبَ ؟

وقالَ الْيَهُودُ فى سُخْرِيَةٍ مَرِيرَةٍ :

- هَيْهَاتَ ! هَيْهَاتَ ! مِنْ أَيْنَ لِمحمدٍ مُلْكُ فَارِسَ والرُّومِ ؟

هم أَعَزُّ وأَمْنَعُ من ذلكَ ، أَلَمْ يَكْفِ مُحمدًا مَكَّةُ والْمَدِينَةُ حتى طَمِعَ فى مُلْكِ فَارِسَ والرُّومِ ؟

وعِنْدَئِذٍ أَنْزَلَ اللهُ (تعالى) قَوْلَهُ :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة آل عمران : ٢٦]

فاللَّهُ (سُبْحانَهُ وتعالَى) هو مالِكُ الْمُلْكِ ، يُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، إِذَا أَرادَ أَنْ يفْتَحَ على الْمسلمينَ كُلَّ الدُّنْيَا فَتَحَهَا ، وقَدْ حدثَ ما قَالَهُ النَّبِىُّ ﷺ لأَصْحابِهِ ، حيْثُ فَتَحَ اللهُ علَى الْمسلمينَ بلادَ فارِسَ والرُّومِ والْحِيرَةَ والْيَمَنَ ، فاللَّهُ (تعالَى) عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ .

وقَدْ وردَ فى فَضْلِ هذه الآيَةِ أَحَادِيثُ وأَقْوالٌ كَثِيرَةٌ لِلْعُلَمَاءِ ، مِنْهَا ما قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ حيْثُ قالَ :

ـ لَمَّا أرادَ اللَّهُ أَنْ يُنْزِلَ فاتِحَةَ الْكِتَابِ ، وآيَةَ الْكُرْسِىِّ ، وشَهِدَ اللَّهُ ، وقُلِ اللَّهُمَّ

مَالِكَ الْمُلْكِ إلى قولِه بغَيْرِ حِسابٍ ، تعَلَّقْنَ بالْعَرْشِ ولَيْس بينَهُنَّ وبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ وقُلْنَ :

ـ يَارَبِّ تهْبِطُ بنا دَارَ الذُّنوبِ وإلَى مَنْ يَعْصِيكَ ؟

فقالَ اللَّهُ (تعالَى) :

«وعِزَّتِى وجَلالِى ، لا يَقْرؤُكُنَّ عَبْدٌ عَقِبَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ إلاَّ أَسْكَنْتُهُ حَظِيرَةَ الْقُدْسِ على ما كانَ مِنْهُ ، وإلاَّ نَظَرْتُ إلَيْهِ بِعَيْنِى الْمَكْنُونَةِ فى كُلِّ يومٍ سَبْعِينَ نَظْرَةً ، وإلاَّ قَضَيْتُ لَهُ فى كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً ،

أَدْناهَا الْمَغْفِرَةُ ، وإِلاَّ أَعَذْتُه مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ ، وَنَصَرْتُهُ عليْه ولا يَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إلاَّ أَنْ يَمُوتَ » .

وهذه الآيةُ الْكريمَةُ تُسَاعِدُ قَارِئَها على أَنْ يقْضى دَيْنَهُ ويُذْهِبَ كَرْبَهُ وغَمَّهُ ، بشَرْطِ أَنْ يكونَ على يقينٍ وثِقَةٍ فى قُدْرَةِ اللَّهِ على قضاءِ دَيْنهِ وذَهَابِ حَزَنِه وغَمِّهِ .

فقدْ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لمعَاذِ بْنِ جَبَلٍ :

ـ أَتُحِبُّ يا معاذُ أنْ يقْضِىَ اللَّهُ دَيْنَكَ ؟

فقالَ معاذُ :

ـ نَعَمْ .

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ :

ـ قلْ كُلَّ يومٍ : قَلِ اللَّهمَّ مالِكَ المُلْكِ ـ إلى قولِه ـ بغيرِ حسابٍ ، رَحْمَانَ الدُّنْيا والآخرةِ ورحِيمَهُما ، تُعْطِي منْهُمَا مَنْ تشاءُ وتَمْنَعُ مِنهُمَا من تَشَاءُ ، اقْضِ عنِّى دَيْنِى ، فلَوْ كانَ عليكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا لأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ .

وقالَ معاذُ بنُ جَبَلٍ :

ـ علَّمَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ آياتٍ من القُرآنِ ـ أوْ كَلِماتٍ ـ ما فِى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو بِهِنَّ وهوَ مَكْرُوبٌ أَوْ غارِمٌ أوْ ذو دَيْنٍ إلاَّ

قَضَى اللَّهُ عَنْهُ وفرَّجَ عَنْهُ .

اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ، رَحْمَانَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ورَحِيمَهُمَا ، تُعْطِي مِنْهُمَا مَنْ تشاءُ ، وتَمْنعُ مِنْهُمَا من تشاءُ ، وتُعِزُّ مَنْ تشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تشاءُ ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ ، وارْحَمْنَا وانْصُرِ الإِسْلامَ وأَعِزَّ الْمسلمينَ وأَعْلِ بِفَضْلِكَ رَايَةَ الْحَقِّ والدِّينِ إِنَّكَ نِعْمَ الْمَوْلَى ونِعْمَ النَّصِيرُ ..

مِن أَقْوالِ الرَّسولِ : (الثِّقةُ باللَّه) :

عنْ أَبى بكْرٍ الصِّديقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ :

نظَرْتُ إِلى أَقْدامِ الْمُشركينَ ونحنُ فى الْغَارِ ، وهمْ على رءُوسِنا فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، لوْ أَنَّ أَحَدَهمْ نظر تحتَ قدمَيْهِ لأَبْصرَنا ، فقالَ ما ظَنُّكَ يا أَبا بكْرٍ باثْنينِ اللَّهُ ثَالِثُهمَا ؟

رقم الإيداع : ٥٩٢٣ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : ٤-١-٦٠١-٢٦٦-٩٧٧